الكيميا وعمايلها

الكيميا وعمايلها

تزوجته زواج صالونات، وكثيراً ما كانت تتساءل لماذا صالونات؟ لماذا لا يكون زواج بلكونات؟ فقد رآها لأول مرة وهي تقف في بلكونة منزلها وكان هو يقطن في المنزل المقابل لها، فلما حاول أن يغازلها بيده ويشاور لها، تجاهلته وأغلقت في وجه (شيش البلكون) مما جعله يزداد إعجاباً وتمسكاً بها.

بعد عام شعرت أن هذا الزواج التقليدي ـ كالماء الراكد ما حرك فيها ساكناً ـ عانت من برودة العواطف مع زوجها طوال هذا العام، كان زوجها رجلاً تقليدياً، طيباً، موظفاً بمواعيد حضور وانصراف، حياته معها بنفس الأسلوب الذي عاشه والده ووالدها، أما هي فقد كانت غير تقليدية، حيوية المشاعر والحركة، رومانسية، حساسة، رغم أن زواجها تم في مرحلة متقدمة في السن إلا أنها كان لها عواطف متأججة كأنها في السابعة عشرة، كانت عواطفها وإحساسها دائماً ملتهبة كنار الفرن، ولكن لم تكن لهذا صدى لدى زوجها.

ذهبت إلى والدها قائلة:

ـ يا أبي لقد ذهبت امرأة إلى الرسول ﷺ قائلة: إن زوجي ليس به ما يعيبه ولكني لا أطيق معاشرته فقال لها ﷺ: هل أمهرك شيئاً؟ قالت المرأة: حديقة. قال لها الرسول ﷺ: إذاً ردي عليه حديقته.

ومدت يدها بعلبة قطيفة بها الشبكة وكل ما أهداها لها زوجها.

اندهش والدها من هذا التصرف وحاول أن يثنيها عن قرارها ولكنها أصرت، وكان الطلاق بشياكة ورقي مما جعل بينها وبين طليقها تواصلاً محترمًا من حين لآخر، حتى بعد زواجه بسنوات ظل يهنئها في الأعياد، حتى كان الاحتفال بافتتاح فندق جديد بمدينة الأقصر الجميلة فاتصل بها قائلاً:

ـ نشوى لك عندي مفاجأة. تذكرتي دعوة (فول بورد) بمدينة الأقصر. ولظروف شخصية لم أتمكن من الذهاب، فإن رغبتي أرسلهم وتستطيعين اصطحاب من أردت معك من الأقارب أو الأصدقاء.

صمتت برهة وقالت:

ـ شكراً يا حسين، يمكن الرحلة دي جت في وقتها، فأنت تعلم أنني منذ فترة وجيزة فقدت إحدى أعز صديقاتي وهي في ريعان شبابها، ولكني لا أعرف أحداً بالأقصر، وخاصة أني وللأسف لم أزرها من قبل قط، ولكني أعشق تاريخها.

قال حسين:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي سأرتب لك ذلك مع الرائد علي رئيس مباحث الأقصر، فهو صديق محترم، وسيكون في انتظارك بالمطار.

صعدت نوال أمامي على سلم الطائرة مسرعة غير مترددة رغم أنها المرة الأولى لها لركوب الطائرة، حسبتها تعتلي سلم أتوبيس النقل العام من منزلها في عابدين إلى منزل شقيقتها في شبرا، كانت نوال هي أقرب من

نفسي إلى نفسي . . فهي بسيطة . . تلقائية . . أحيانًا تظنها ساذجة . . ومرات تفكر بعمق وحنكة . . كانت رفيقتي في السراء والضراء . بعد أن ربطنا الأحزمة استعدادًا للإقلاع نظرت نوال حولها متسائلة :

ـ أين الحقائب . . شنطتك فين يا نشوى؟

قلت بهدوء :

ـ وما الذي سيأتي بالحقائب هنا معنا . . إن لها مكانًا مخصصًا في باطن الطائرة .

قفزت نوال واقفة من مقعدها، ضاربة بالتعليمات كلها عرض الحائط وخبطت بيدها على صدرها صائحة :

ـ بطن إيه وظهر إيه ـ الشنطة فيها حليك ومجوهراتك، وضعتها لك بيدي في الحقيبة مع الفرير الذي أحضرته من ألمانيا مؤخرًا . . قومي اعملي معروف شوفي الشنطة فين . . لن أهدأ قبل أن أراها .

ضحكت نشوى بهدوء قائلة :

ـ اجلسي يا نوال . . لا تخافي . . عند هبوطنا في مطار الأقصر سنستلم الحقيبة بكل ما فيها إن شاء الله .

لم تتوقف نوال عن الحديث عن الحقيبة إلا أثناء تناول وجبة الطعام التي قدمت لنا في الطائرة . . ورغم المطبات الهوائية التي تسقط القلب في القدم فإن نوال لم تأبه بها وكأنها متمرسة على ركوب الطائرات . . المهم الشنطة . . عند سلم الطائرة وجدناه في انتظارنا . . مرحبًا مادًا يده للسلام قائلاً : حمد لله على السلامة . . نورتم الأقصر .

رجل وسيم القلب . . بسيط . . له بسمة محببة . . لونه كلون طمي النيل . . سماته مصرية . . بل شديدة المصرية . . تظنه يحيا من أيام الفراعنة . . وقبل أن أرد تحيته . . أو سلامه اندفعت نوال :

ـ الشنطة يا بيه . . وحياة أبوك الشنطة .

نظر لي مبتسمًا :

ـ أعطيني تكت الطائرة وتفضلن في مكتبي تناولن القهوة حتى آتي لكم بالشنط .

انتظرنا ما لا يقل عن الساعة حتى ظهر الرائد حسين حاملاً شنطة نوال وقال :

ـ لم أجد غير هذه، أما الأخرى فقد كلفت من سيبحث عنها ويأتي بها فهناك احتمالان : إما أنها لم تغادر مطار القاهرة، أو ذهبت خطأ مع مجموعة الشنط المرافقة للفوج السياحي الذاهب إلى أسوان بالباخرة، وسنتأكد من ذلك الآن .

قفزت نوال ضاربة بيدها على المكتب قائلة :

ـ اعمل معروف يا بيه وديني القسم، ده أنا راصة الشنطة بإيديه دول . . دي فيها يا بيه بلاوي . . من دهب وألماس وغيره . . تقوم تضيع وتجيلي الشنطة الكحيانة دي . . اعمل معروف يا بيه وديني القسم .

انفجرت نشوى ضاحكة :

ـ يا نوال علي بك رئيس المباحث هنا في الأقصر .

ـ يا ستي أهلاً وسهلاً . . بس أنا عايزة أروح قسم الشرطة . . عايزة أعمل محضر .

احمر وجه الرائد علي خجلاً مما قالته نوال وكأنها تنفي وجوده . . نظر لي الرائد علي قائلاً :

ـ مدام نشوى ممكن أوصلكم الفندق . . واتركي لي ساعة زمن فقط . . آتيك بعدها . . بما آلت إليه الشنطة ، وتأكدي أنني لن أهمل .

ردت نوال قبل نشوى :

ـ رجلي على رجلك لغاية ما تلاقي الشنطة أو وديني القسم .

حسمت نشوى الموقف قائلة :

ـ من فضلك يا علي بك ونحن في طريقنا للفندق أن تمر بنا على أحد البوتيكات لشراء بعض لوازمي الشخصية حتى تجد شنطتي .

في حجرتنا بالفندق جلست نوال أمامي قلقة تنظر لي وتقول :

ـ هو انت متأكدة إن الراجل يعرف حد في البوليس .

قلت ضاحكة :

ـ يا ستي ده مباحث . . فاهمة يعني إيه مباحث . . رجل من رجال الشرطة .

قاطعتها :

ـ لكنه لا يرتدي زي البوليس .

قالت :

ـ لأن المباحث لا ترتدي الميري .

ردت نوال منفعلة :

ـ يبقى خلاص مش ضابط . يا ستي قومي وديني قسم البوليس .

دق جرس التليفون بالحجرة وجاء صوت :

ـ يا نشوى هانم . . معك الروم سيرفس . . هل تأمري بشيء . . لقد أرسلنا لك طبق فاكهة هدية سلامة وصولكم . . فهل لك طلب خاص؟

ـ أشكر ذوقكم وكرمكم . . يا ريت (2) عصير ليمون .

ونظرت إلى نوال قائلة :

ـ علشان تهدي وتروقي دمك .

قالت نوال مؤكدة :

ـ لن آكل ولا أشرب شيئًا حتى نعثر على الشنطة .

تمددت نوال على الأريكة وجلست نشوى في البلكون المطل على نهر النيل العظيم . . ما أجمل هذا المنظر وما أنظف هذه المدينة وما أهدءها . على

باب الفندق توقفت سيارة الشرطة ليخرج منها الرائد علي حاملاً الشنطة . اندفعت نشوى سريعًا ناحية نوال التي غلبها النوم هزتها قائلة :

ـ لقد وجدها . . نوال . . سأنزل إلى بهو الفندق لاستلام الشنطة .

كانت سهرة افتتاح الفندق في المساء جميلة ، رائعة ، ارتدت نشوى أشيك ما عندها وتزينت بأغلى الحلي . . نظرت لها نوال بحسرة قائلة :

ـ والنبي الرجاله اتعمت في عنيها . . بقى الجمال والحلاوة والشياكة تقعد عزبه كده . . ليه خلاص مفيش نظر . .

صمتت نوال لحظات واستأنفت قائلة :

ـ أنا عارفة بس كان ماله سي حسين بك . . اتطلقتي منه ليه؟

قالت نشوى بهدوء :

ـ خلاف فكري يا نوال . . مفيش فكر مشترك ولا كيمياء بيننا .

ـ والنبي ما انا فاهمة حاجة ، فكر إيه وكميا إيه . . هو جواز ولا معمل

في اليوم التالي أخذنا الرائد علي إلى البر الغربي . . وبه المقابر الفرعونية كلها . . مقبرة توت عنخ آمون ، مقبرة حتشبسوت ، مقابر في بطن الجبل ومقابر معلقة في القمم . . عندما عدنا إلى الفندق للغذاء والراحة قالت نوال :

ـ هو مفيش حاجة تانية في البلد دي غير الترب (المقابر) .

قالت نشوى بفخر :

ـ يا عزيزتي نوال . . إن الناس يأتون من كل بلاد العالم لمشاهدة هذه الترب التي لم تعجبك .

كان موعدنا في الغد للذهاب إلى معبد أبو سنبل . . ولكن نوال اعتذرت عن الذهاب وفضلت البقاء في الفندق .

مر الوقت سريعًا منذ أن التقينا أنا وعلي في الصباح وحتى عدنا من أبو سنبل في المساء . . تحاورنا ، تكلمنا كثيراً ، التقت أفكارنا ، تفاعلت كيمياؤنا . . جلنا وصلنا في كل مناحي الحياة . . حتى خيل إلينا أننا التقينا من قبل كثيراً كان هناك شيء في أرواحنا يجعلها تتلاقى وتتسامى .

في المطار . . وفي رحلة العودة . . ودعنا الرائد علي . . وهو يقول لنوال التي أصرت على أن تأخذ الهاندباك في يدها . . وتمسكت بها بحرص :

ـ هل اطمئن قلبك الآن على الحقيبة . . ولا تحبي تروحي القسم؟

قالت بخجل :

ـ يا بيه اللي ما يعرفك يجهلك .

ثم نظر إلى نشوى قائلاً :

ـ لقد أخذت حقيبتك . . هل تردي لي قلبي .

وبعد أسبوع كان الرائد علي في منزل نشوى يعلن زفافهما ويطبع قبلة على جبينها وينظر إلى نوال التي انطلقت تزغرد وتقول :

ـ أما الكيميا دي عليها عمايل .